الفصل الثاني والعشرون

بناء على الكثير من الطلبات.. على خط الدليفري والمأكولات.. بالخط الساخن من الوزراء والمحافظين وكبار المسئولين الحاليين.. والسابقين.. واللي امتلأت جيوبهم وبيوتهم بالخيرات أخيرا بأحلى القرارات !.. وتَتُّه عامر يا ولاد..! وكذلك يا عيني باقي الأحبة والزملاء والأصدقاء من محدودي الدخل.. والمكسرات..! عن ما سبق أن أشرت له عارضًا عن تجربة فريدة.. لكنها غريبة وعجيبة..! عن حالة لم يتسن لبشر أن مرَّ بيها.. واستطاع أن يرجع لنا ويحكي لنا عنها وما حدث له فيها ؟ ويا فيها.. لا.. أخفيها..؟ (وهي تجربة الموت) حد شاف.. أكيد..! حد عارف ممكن..! حد عاش ورجع ويحكي..؟ مستحيل..! وهذا ما مَنَّ به الله عليا به.. بما سبق وأن أشرت إليه من مضمون الحديث النبوي الشريف.. (ينزل القضاء من السماء إلى الأرض.. ويصعد الدعاء من الأرض إلى السماء.. ويعتلجان(يتصارعان) ولا يرد القضاء إلا الدعاء..)

التجربه الأولى.. كنت قد قُبلْتُ بهندسة أسيوط.. وأنا بالإسكندرية.. والغربه صعبه وبلية.. وكنت قد قدمت في آخر يوم آوراقي لكلية الشرطة الداخلية.. وكان لازمن.. لازمن.. النجاح في قفزة الثقة بحوض الغسيل والمواعين (السباحة) وكذلك السباحة لمدة يوم كامل (بالنسبة ليا) ٢٥ مترًا.. طبعًا القفزة

لي.. تعني الموت.. وكذلك العوم.. ورغم أني إسكندراني وقريبي من ناحية اليمين.. عبد اللطيف أبو هيف.. إلا أنني كنت من صغري لا أحب البحر وأخشاه (فوبيا).. ولا أحب أكل السمك أو أهواه..؟ أقعد على شط البحر.. آه.. ألعب في الرمل والطين آه..! إنما تيجي ميه البحر عليا..! يجيلي صرع..! وينقلوني لمستشفى الرمد للحميات بالإسكندرية بجوار الإسعاف والمشرحة يا عنيا..؟ وجاء اليوم السابق للاختبار وأنا عمري ما لمست البحر ولا مياهه..! .. قلت أدور من أصحابي على واحد متمكن وشاطر وثقة في ذلك المجال وكان زميلي إسماعيل أحمد إسماعيل صيدلي.. وأصبح مدير شركة الخليج الطبية ورئيس فرعها بجدة ومركزها الرئيسي بألمانيا.. شقيق الدكتور أحمد إسماعيل بكليه طب إسكندرية (نساء وولادة) والمهندس محمد إسماعيل عميد كلية هندسة إسكندرية السابق.. . كنا طلبة في مدرسة العباسية الثانوية للمتفوقين بالإسكندرية (بمحرم بك.. ابن خالتي..؟) المهم قاللي ده حاجة سهلة وبسيطة.. كأنك بتاخد دوش..؟ وتتغسل وتطلع عادي.. ده بالنسبة له..! أما أنا ف أتغسل وأتشحن..! المهم أخدني من إيديا وطلعني السلم حوض السباحة.. وخمسة شايليني وأنا بأفرفص وأصرخ وأصوت.. عيب يا سعده انشف شوية وخليك شجاع.. أومال حاتعمل إيه مع الحرامية لما تبقى ضابط..! يا عم أنا حاجيبهم الأرض وبعدين أمسكهم..! وإذا جريوا على البحر فهو كفيل بهم..؟ .. لا يا سعدة.. لا.. المهم

مسك في إيدي لكي يطمني وجَرّني وقفزنا سوا ما دام ماسك في إيدي خلاص..! يادوبك لمسنا الميه.. ملقتش النور..؟ ولا إيد إسماعيل.. ولا إسماعيل نفسه..؟ أغطس وأقب.. أقب وأغطس.. مية الحوض كلها دخلت بطني وتَقْلتني..! هنا ولأول مرة في حياتي وقبل مماتي..! شوفت الموت..! وجاء لي على صورة.. شريط خام فيلم خام لكاميرا عادية فوتوغرافية..! يمر سريعا أمام عيني من اليمين إلى اليسار.. لأن ثقافتي ولغتي عربي..! وبه جميع الصور الأساسية لمحطات عمري الرئيسية منذ أن فتحت عيني على الدنيا وحتى هذه اللحظة من الانتهاء من الحياة والعمر.. والبركة في ندالة الصديق العمر الوفي إسماعيل..؟ طبعا عنده حق..! بدل ما اتنين يموتوا.. نوفر واحد.. قد يفيد البشرية مستقبلا..! طيب يا سمعه.. أول قرار ليا بعد تخرجي.. بإذن الله اعتقالك..؟ المهم قعدت أطبش في الميه وأشهق.. وأدعي..! على السبب وإسماعيل.. وبفضل الله وإرادته وعونه وبكل قوة وصلت لخط النهاية.. مع التصفيق والصفير.. ومطالبتي بالإعادة.. بناء على رغبة الجماهير.. فطرطشت الميه عليهم اللي شربتها كلها عليهم أجمعين..! وتاني يوم عملت قفزة الثقة بالكلية وقطعت مسافة ال٢٥ مترًا في يوم ونصف بنجاح.. وسط انبهار وإعجاب كل الموجودين من الطلبة والقيادات.

التجربه الثانية: كنت مرتديًا الملابس الرسمية المرورية الشتوية.. وآخر شياكة وجمال وحيوية وقائد سيارة ١٢٨ بيضاء

ملكية بنفسي.. خاصة وملك زميلي النقيب عزت عبد الحميد ووالده رئيس قطاع العلاقات بالمقاولون العرب.. وذهبت بها مأمورية عائلية من القاهرة للإسكندرية لمده يومين.. وعند عودتي في العصرية إلى القاهرة بالطريق الزراعي لوحدي برضو بالملابس الرسمية بس أشيك وأحلى من رحله الذهاب عشان شوفت ست الكل والدتي.. ودعت لي بالحماية والستر.. ده غير حب الناس المفتحة.. واللي بتقدر المواهب والقدرات.. وترش من غير غمز ولمز أو زق.. أو تلاقيح جتت أو كلام أو نغزات.. يعني ناس حساسة وولاد ناس..! المهم.. حاره الطريق لا تحتمل إلا سيارتين بالكتير.. وفي النصف حبة رمل وفروع زرع نابتة صغيرة.. وحاره أخرى مثلها للاتجاه المعاكس.. وأنا ماشي بالسيارة وباسمع شريط الكاسيت المجمعة عند عم خليل العجلاتي بالإسكندرية وهوه عارف ذوقي رفيع وراقي..! والمغنين المفضلين ليا أمثال استيفان روستي ويوسف بك وهبي وأمينة رزق، وكنت باسمع أغنية كل ده كان ليه.. لنعيمه الصغير..؟ وأنا ماشي في جهه الشمال في الحارة..! إذ أفاجئ.. بسيارة لوري مفتوحة بمقطورة حاملة أطنان من شكاير الإسمنت.. تترنح وبتميل.. وتخبط عليا وتقول وسَّع يا جميل.. لحسن أطيرك من اليمين..! أخذت أقصى الشمال لقيت زحلقة الرمال.. تتلاعب بي وبالسيارة يمين وشمال.. فاتت السيارة اللوري وحمدت الله.. إذ فجأة تضرب فيها المقطورة بشدة

وترميني في الجزيرة الوسطى.. وعليا كوم وأطنان من الإسمنت الخام يكفي بناء عمارة رخام..! أمسكت بقوه بالجادون.. وبحاول السيطرة على الموقف المجنون.. وسيارتي مش لاقية قلب حنون.. وبحاول أهرب من الرمال اللي بتزحلق الجبال.. عشان ما أروحش للاتجاه المميت المعاكس والمقابل شمال.. بصيت لقيت اللوري والمقطورة تالت مرة يعملوها فيا ويدوني كتف قوي طائش وأخير شمال.. لقيت أنا والسيارة في خبر كان في الطريق المواجه شمال ولسه سيارة كميون فائقة السرعة في وشي يا دوبك معدية من جنبي ومنتظر سيارات المقابل والموت.. بقدر الله وقضائه.. كان لسه في العمر باقي.. لكن مكنتش لاقي.. مخرج أو إفلات من الموت والهلاك.. إذ زحفت سيارتي بقوة واندفاعها بيا.. وبإصرار.. على الموت والدمار.. وأنا في الطريق المقابل العكسي لاتجاه السيارات في وشي.. وربنا أفلتني من وجود سيارات أخرى في هذه اللحظى الفريدة والنادرة في ذلك الزمان والمكان.. لأن الله يريد حفظ إنسان.. لم يأته الأجل أو الميعاد.. إلا أنني باعيشه وأشاهده.. وأتشهد.. وأستقبله بإيمان وثبات ومحبة وشوق للقاء الله.. وإذ أفاجأ بعزرائيل رقم (٣).. بعد ما أفلتني الله من رقم..

(٢:١).. وانجرفت بشده بزاوية ٤٥درجة شمال في الطريق العكسي والحمد لله خلصت من مرور السيارات.. وإذ بي.. على حافى الطريق العكسي وعلي حد الطبان (شوية الرمل

جنب أسفلت نهاية حارة الطريق العكسي) وتحتها أرض زراعية بأسفل الطريق المسفلت بحوالي عشرة أمتار.. أي أنني والسيارة في طريقي وبسرعة شديدة نحو الهبوط والوقوع على الأرض الزراعية الملاصقة للطريق ومنخفضة عنه بـ١٠ أمتار تقريبًا.. وكل شيء انتهى وفات.. وإذ يرفع الله من معجزاته وكراماته.. شيء لم أتوقعه أو أراه.. وأفاجأ بعمود أسود حديدي سميك يحمل علامة لونها أزرق بتحديد مسافات الطريق.. يحتضنانى بالسيارة في قائم وعمود منتصف السيارة من جهه اليسار.. ويمنع وقوعي والسيارة في الهاوية والارض الزراعية المنخفضة والمتدارية عن نظري في ذلك الوقت والواقعة.. كل ذلك وأنا مش مصدق ما حدث من وقائع وتطورات..؟ أغمى عليا وارتميت على الكلاكس والجادون..!

والسيارة قعدت تصرخ وتصوت عليا.. كان بيني وبينها كيمياء حب وود.. قالت تزعق وتهب.. يمكن رجل تجيلي وتطمن عليا وتدب.. وفعلا.. حضر سائق اللوري والمقطورة المحمله أسمنت بعد ما عفَّر الطريق كله وكأنها شبورة.. ولقاني مغمى عليا ونايم على السبورة.. والمشاورة والطباشيرة في إيدي بتعمل على التابلوه معاينة ورسم كروكي وصورة ولقاني ضابط وكمان مرور.. قال يا فاكيك.. وهرب.. وقال دا مات.. ومش عايش أشوف وشه ويغور.. لحسن يركبوني في السجن الحنطور(عقوبة حديثة غليظة لولبية).. وجري بالعربية.. وحضر مهندس كان راكب في سيارة

نصف نقل.. وطلع صديق زميل ضابط بالمرور.. وأخذني ووداني على البيت جثة هامدة وساكنة وملصمة.. وقَطر السيارة ١٢٨ اللي بقت مطبقة اتنين.. بالسيارة نصف نقل وحطها في حوش مرور الدراسة حيث مكتبي وعليها حراسة من جنود البوابة والنوبتجية.. حضر لمنزلي والدي العزيز الحبيب الغالي مدير المرور اللواء حلمي بدران في الفترة المسائية.. لما شاف العربية.. قعد يبكي عليا.. وسأل على الدفنة والعزاء والأربعين.. وأنا كنت ساكن بجوار أم أربع وأربعين.. في شارع التسعين وحصلنا الميه.. ونطوا عليكم الحرامية.. وجاء إلى منزلي ليلقي عليا النظرة الأولى والاخيرة.. (والفاتحة) وكان معاه وكيل الإدارة وكان عايز يصادر العمارة باعتبارهم الورثة الشرعيين ؟..

هاتان الواقعتان تندرج تحت بند (تجربة الموت) الممكن المرور بها أو الأكيد مشاهدتها، أما المستحيل الانتقال منها والرجوع للحياة ثانيا لسردها..؟ فتلك هي القادمة بإذن الله في الحلقة القادمة..!

والتجربة الثالثة والتي ستفطسون من الضحك عليها كلكم..؟

وآه يا دماغي وعقلي وفكري منكم.. إلهي يسترها معاكم ويبارك لكم ويرضيكم ويحميكم كلكم..!

●●●